فَقَالَ:"أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا [1]. فهلا فقهنا آداب الاستئذان الشرعي وعملنا بها وعلمناه أولادنا حتَى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا.

**(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)**

* * *

## الدرس التاسع والثلاثون: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الإمام مالك بن أنس مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور قال القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك): ناظر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الإمام مالك في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في المسجد، إن الله تعالى أدب قوما فقال{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)} [الحجرات: 2]، ومدح قوما فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)} [الحجرات: 3]، وذم قوما فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(4)} [الحجرات: 4] وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان أبو جعفر المنصور.

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ(1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 5896، و(م) 2155.

وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(2)} [الحجرات: 1 - 2].

وقد نهى الله تعالى في هذه الآيات عن ثلاثة أمور: عن التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم بما لا يأذن به من الكلام والآراء والأحكام، وعن رفع الصوت بحضرته، وعن الجفاء في مخاطبته ومحاورته.

كما أمر بتعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، والتزام توجيهاته وأوامره، وبما أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم حيا كحرمته ميتا، وكلامه المسموع منه مباشرة ككلامه المروي عنه بعد موته في الرفعة والإلزام، فقد وجب على كل من يسمع حديثه وسنته وهديه ألا يرفع صوته عليه أو يُعرضَ عنه؛ لأن رفع الصوت والجهر به في حضرته صلى الله عليه وسلم أو عند تلاوة سنته دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، ثم عقب سبحانه على هذا التوجيه بقوله:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)} [الحجرات: 3].

ويستنبط الفقهاء بالقياس من هذا التوجيه القرآني وجوب احترام الوالدين والعلماء وذوي السابقة في الدعوة والجهاد وكبار السن، والرفق بهم وعدم رفع الصوت بين أيديهم، والاستحياء بحضرتهم، مما تؤكده نصوص كثيرة لا يتسع المجال لها حاليا (69).

إخوتي في الله، عندما ناظر ابن القيم رحمه الله تعالى أحد هؤلاء ممن يأتيه الحديث الصحيح فيرده لأن فلاناً قال كذا، فقال له: أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ الآن يخاطبنا بأمرٍ وقال: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، أكنت تأتمر بأمره صلى الله عليه وسلم أو تقول: أعْرِضُ هذا الأمر على قول فلان، أو هذا الأمر يخالف ما قاله فلان من الناس؟ قال: بل أمتثل وأبادر تواً وفوراً، قال: فما الفرق؟ فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد لحق بالرفيق الأعلى فسنته وأمره بعد وفاته كأمره في حياته صلى الله عليه وسلم، فلا بد من التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأدب مع سنته كما كان التأدب مع شخصه صلى الله عليه وسلم في حياته، بألا يقدم أحد بين يدي الله ورسوله، ولا يرفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك يجب أن يتأدب معه بعد

وفاته صلى الله عليه وسلم بألا يرفع رأياً فوق سنته صلى الله عليه وسلم أ.هـ.

ولقد أخبرنا الله جل وعلا بما كان من اليهود من سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذرنا من أن نحذو حذوهم فقال:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ(104)**} [البقرة: 104].

فلقد كان اليهود يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا، أي: راعنا سمعك، فافهم عنا وأفهمنا؛ يلوون ألسنتهم بها، ويقصدون سبَّه ونسبته إلى الرعونة، فنهى الله ♣ المؤمنين بألا يحذوا حذو اليهود، وحذر الله تعالى المؤمنين من إيذاء رسول الله، كما آذى بنو إسرائيل موسي عليه السلام فقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهاً(69)**} [الأحزاب: 69]، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله.

ومن علامات محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوم الأدب معه قال تعالى:{**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (9)**} [الفتح: 8 - 9]، فالتسبيح لله ♣ والتعزير والتوقير لرسول الله فلا يكون لي رأيٌ إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نتكلم عنه إلا بتعظيم رسول الله بما يلائم، ومن أفضل الثناء عليه كثرة الصلاة عليه، وإذا سمعنا من يحدث بأحاديثه رسول الله فلنعطها حسن الإصغاء والاستماع، ومن علامات توقير رسول الله توقير أزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الكرام وأهل بيته رضوان الله عليهم جميعا وكذا حسن الأدب مع العلماء فالعلماء هم ورثة الأنبياء، فعن أبي الدَّرْدَاءِ ☺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"**إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**"[1].

أخي الحبيب، من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم التسليم له

(1) (صحيح) أخرجه (حم 4 حب) وصححه الألباني في ص.ج 6297.

والانقياد لأمره، وتصديق خبره، وتلقّيه بالقبول، وعدم معارضته، ولا يُقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولا يُدَّعي نسخ سُنته، وكذلك لا تُرفع الأصوات فوق صوته صلى الله عليه وسلم لأن ذلك سبب لحبوط العمل، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا ترفع الأصوات فوق حديثه إذا قُرئ ولا عند قبره.

ويجب الحذر من الاستهزاء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالاستهزاء بمن عمل بالسنة كمن أرخى لحيته وقص شاربه ومن قصر ثوبه إلى أعلى الكعبين ومن لازم العلماء العاملين لأن ذلك يفضي للكفر، قال تعالى:{**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**} [التوبة: 65 - 66].

أو من الاستهزاء بالأخوات اللاتي يرتدين الحجاب الشرعي واللاتي يحافظن على حِلَق الذكر والعلم في المساجد، فإن هذا من الجهل بالدين فاحتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب أمر واجب، دل على وجوبه كتاب الله ♣ وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري في المعلقات عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: يَرْحَمُ الله نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُولَ لَمَّا أَنْزَلَ الله: {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} [النور: 31]، شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ - أي جمع مرط أي الملاءة - فَاخْتَمَرْنَ بِهَا، والخُمُر جمع خمار وهو غطاء الرأس. والجيوب جمع جيب وهو شق الثوب من ناحية الرأس والمراد ما يظهر منه الصدر، والمقصود يسترن الرؤوس والأعناق والصدور عن الرجال.

أخي في الله، كل شيء تمزح فيه إلا الدين؛ لأن الدين له حصانة، والذين يمثلون الدين هم العلماء، والدعاة، والملتزمون؛ ولهم حصانة، وإذا استهزأت بهم استهزأت بالله؛ لأن هذا الرجل ما استهزأ بالله، بل استهزأ بالرسول وأصحابه، ولكن الله سبحانه جعل هنا الاستهزاء به وقال:{**قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**} [التوبة:65] رغم أن الرجل ما قال شيئاً في الله، بل قال في الرسول وأصحابه فقط، فجعلها الله سبحانه استهزاءً به.

فلما تهزأ باللحية، فأنت لا تهزأ بالشخص الذي أطلقها، بل تستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمر بها؛ لأن هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما تهزأ من رجل قصر ثوبه واتبع السنة، فأنت لا تستهزئ بالرجل، ولكن تستهزئ بالذي أمره بهذه السنة، ولذلك انتبه يا أخي! عليك أن تقف عند حدك فيما يتعلق بشيء من ذلك، فلا تستهزئ بالأئمة، ولا بالمؤذنين، ولا بالدعاة، ولا بالقضاة، ولا بالعلماء، ولا بأي شيء فيه دين الله، حتى إن بعض الناس عندهم نكت، يأتون بها على بعض الآيات، أو الأحاديث، أو الأئمة، لا للنكت ابحث لها عن مكان آخر؛ لأن دين الله حق، ولا يقبل الاستهزاء ولا السخرية (66).

**(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)**

* * *